

قصة اللغة العربية (4) - مدينة البصرة تضع النحو العربي، منهج النحو البصري.

محمد صالح

السلام عليكم ورحمة الله. اهلا وسهلا بكم في قناة مدرسة الشعر العربي. مع محمد صالح ونكمel الحديث في قصة اللغة العربية في الحلقة الماضية رأينا كيف سهل علينا علماؤنا كتابة اللغة العربية بدون ان يتراكوا مجالا للخطأ في قراءة القرآن - [00:00:03](#) الكريم ووضعوا علامات التنقيط والتشكيل ولا شك ان العناية بالقرآن دفعتهم للتفكير في فهم لغة العرب والتفكير في ظاهرة تغير اواخر الكلمات العربية التي نعرفها باسم الاعراب فحاولوا ان يضعوا قواعد لها - [00:00:26](#) ونبههم ايضا الاختلاف بين قراءات القرآن التي نزلت موافقة بهجات العرب المختلفة ورأينا ابا الاسود يضع مصطلحات كالفتح والضم والكسر ولابد انهم بدأوا في رصد القواعد التي تحكم ذلك وهكذا فان العلم يبدأ بـ الملاحظات متتالية - [00:00:47](#) مثل ان الكلمة العربية اذا اتت اول الكلام تكون مرفوعة اذا اتى قبلها كلمة ان وبعض الكلمات الاخرى فانها تنصب. اي تصبح مفتوحة الاخر وان الفعال تأتي مضمومة ولكنها تنصب وتجزم اذا سبقتها ادوات معينة - [00:01:12](#) وتتوالى الملاحظات بهذا الشكل لابد انهم لاحظوا هذه الظواهر في كلام العرب وحاولوا ان يضعوا له مصطلحات كالمبتدأ والفاعل والمفعول وهكذا بدأت اجيال من مدينة البصرة كتابة قواعد اللغة العربية - [00:01:34](#) اليوم نتحدث عن المنهجية والطريقة التي اعتمدتها مدينة البصرة في دراسة اللغة حتى اكتملت فيما بعد مع ابن احمد وسيباويه مضت عملية دراسة النحو بصورة غير واضحة في البداية فلا يمكن تحديد من الذي اطلق كل مصطلح بعينه؟ - [00:01:55](#) يمكننا فقط ان نخمن قياسا على طبيعة سير الامور. انه كما اشرت في حلقة سابقة لا تسجل الاحداث بدقة في المراحل الاولى يحتاج الامر وقتا حتى يأتي من يجمع الملاحظات المختلفة ويرتبها في علم كامل منظم - [00:02:23](#) ويضع فيه قواعد مجربة وتستطيع تفسير ظواهر العلم تفسيرا صحيحا سبقت مدينة البصرة غيرها في الاهتمام بعلوم اللغة العربية وقد كانت مدينة شديدة النشاط اسسهها الصحابة في جنوب العراق بعد الفتح ليستقر بها العرب - [00:02:44](#) وكانت قرية من بادية العرب الذين يسكنون جنوبها وصولا الى عمق جزيرة العرب وهاجر اليها كثير من القبائل التي سكنت احيائها وحولتها الى واحدة من اكبر مدن العالم في ذلك الوقت - [00:03:05](#) وفي نفس الوقت كانت ميناء بحريا وطريقا تجارية تربط بين اماكن مختلفة وبما انها في العراق جاء اليها وسكنها كثير من القوميات الاخرى غير العربية واصبحت مركزا عالميا متعدد الثقافات - [00:03:23](#) وهيأت لها الطاقات البشرية الاجواء العلمية الالازمة وفيما انشغلت الكوفة بالاحداث السياسية وعلوم الحديث ورواية اشعار العرب وانشغلت المدينة بعلوم الحديث اشغلت مدينة البصرة بدراسة اللغة العربية وقد شهد لهم من اتى بعدهم بفضلهم - [00:03:43](#) قال ابن النديم المتوفى سنة ثلاثمائة واربعة وثمانين للهجرة انما قدمنا البصريين اولا لان علم العربية عنهم اخذ وقال ابن سلام كان لاهل البصرة في العربية قدمه وبالنحو ولغات العرب والغريب عنانة - [00:04:06](#) اهم معالمها المسجد الكبير الذي كان مركز المدينة وقبلة العلماء وطلاب العلم وفيه كانت تعقد حلقات الدروس ومكان يدعى المربي كان سوقا خارج مدينة البصرة يجتمع فيه العرب فيما يشبه نسخة ثانية لسوق - [00:04:28](#) ويلتقي الناس وتقام المنافسات الشعرية وفي حدثت مبارزات شعرية مشهورة مثل نقائد جرير والفرزدق اما كيف فعل العلماء ذلك؟

كيف جمعت مدينة البصرة مادة النحو وضع علماء مدينة البصرة منهاجا علميا لدراسة اللغة - 00:04:49

هو انهم سمعوا وسجلوا كل كلمة كما وردت من العرب. ليفحصوها بدقة لا ان يعدلوا على العرب ولا ان يضعوا طريقة جديدة للكلام كما حدث مع بعض اللغات الأخرى كالاسبانية الحالية - 00:05:13

وظيفة العلماء هي وصف اللغة كما يتكلمها اهلها الاصليون لنتكلم مثلهم ونفهم نصوصهم وليس محاولة اختراع اللغة فكلام العرب القدماء هو الاصل. وهو الذي تستخرج منه القواعد والعلماء كما ذكر ينتحون سمت كلام العرب - 00:05:30

ولكي يقوم العلم بشكل صحيح يجب ان تجمع له مادة كافية لتصف اجزاءه ويجب ان تكون المواد المجموعة صحيحة وهذا ما فعله العلماء وما يسمى الاستقراء. اي طلب قراءة اللغة - 00:05:56

فقد فحصوا كل ما يمكن فحصه من الكلام العربي الفصيح ابتداء من القرآن الكريم وهو افصح نص عربي والاكثر اصالة وموثوقية ثم كلام العرب القدماء نثرا وشاعرا وهذا من اسباب اهمية الشعر. لانه مصدر فصيح اعتمد عليه العلماء في وضع القواعد - 00:06:16

كذلك اعتمدوا على كلام العرب الفصحاء الذين يوثق فيهم وقد بذلوا في هذا جهودا كبيرة. فقد ذهبوا الى بوادي العرب البعيدة داخل الصحراء. وهي الاماكن التي ما زال يعيش فيها - 00:06:40

عرب لم يحتكوا بالاجانب ولم يتأثروا بهم ولهذا ما زالت عربتهم على نقاها واخذوا عنهم كل كلامهم وتشدد المصريون جدا في هذه النقطة نقاوة اللغة العربية فلم يقبلوا عرب المدن ولا الذين نزلوا في بلاد العمجم وخالفتهم تحرزا من تأثير لغتهم - 00:06:56

ذهبوا الى قبائل كاسد وتميم وطيء وهذيل وبعضا القبائل الأخرى وبذلوا في هذا مجهودات كبيرة للسفر لقلب الصحراء والتحدث مع الاعراب وتسجيل كلامهم ثم العودة لفحصه في البصرة وهذا التدقيق في اختيار من تؤخذ منه اللغة هو السمة البارزة في نحو مدينة البصرة - 00:07:24

اخذوا ايضا من الاعراب والشعراء الذين يأتون من الباادية في زيارتهم لمدينة البصرة في سوق البصرة المعروف باسم المريد الذي قلنا انه يشبه سوق عكاظ القديم وقد كانوا يدققون في من يأخذون منه الكلام - 00:07:51

لاحظ اني لم اذكر الحديث النبوى كمصدر من مصادر اللغة العربية مع ان الرسول صلى الله عليه وسلم هو افصح العرب والسبب ان كثيرا من نقل الحديث ليسوا من العرب - 00:08:11

والحديث يروى بالمعنى لا بالنص كالقرآن ولهذا استبعد العلماء الحديث كمصدر من مصادر اللغة وعلى هذه الطريقة انشأت مدينة البصرة صرحا نحو اللغة العربية ووضعت قواعده يجمعون الشواهد من كل المصادر الصحيحة الممكنة. ويحاولون وضع القواعد التي تصف الظاهرة بدقة. واهم ما - 00:08:26

اريد ان نخرج به من دراسة النحو في مدينة البصرة انهم فضلوا اخذ الشواهد بالسماع مباشرة عن العرب وكانوا يتشددون في الروايات التي يأخذون منها ولا يأخذون الا من الموثوق او الذي شاع استعماله وكثير - 00:08:55

فإذا كانت الرواية غير موثوقة لم يأخذوا بها وإذا كانت موثوقة ولكن استعمالها يقتصر فقط على عدد قليل من بعض العرب يرمونها بالشذوذ ولا يأخذون بها في قواعد الكلام لأنهم يأخذون المضطرب شائع الاستعمال او يحاولون تأويل القليل - 00:09:15

اي شرحه بطريقة يتماشى فيها مع القاعدة التي وضعوها فيفترضون حذف العامل او نحو ذلك ساوضح بهذا المثال يروى ان عبدالله بن ابي اسحاق وهو من الاجيال الاولى من علماء البصرة. وسنكلم عنه في الحلقة القادمة. سئل عن معنى - 00:09:38

كلمة السوق. وهو الناعم من دقيق الحنطة هل ينطقها احد من العرب السوق بالصاد فقال نعم قبيلة عمرو ابن تميم وما تريده من ذلك عليك بباب من النحو يطرد وينقاد - 00:10:00

فعبدالله بن ابي اسحاق يرى اننا يجب ان نقول السوق بالسین كما يقول كل العرب تقريبا. اما بالصاد التي يقولها فرع واحد من قبيلة تميم فهي تعامل معاملة الكلمات الشاذة ولا ينبغي ان نستعملها - 00:10:19

في كلامنا وسنكلم عن هذا العالم عبدالله بن ابي اسحاق بسورة اكبر في الحلقة القادمة و اذا نظرت لهذا المنهج الذي وضعه علماء البصرة ستلاحظ انه المنهج العلمي الصحيح من الناحية الاحصائية - 00:10:39

لوضع القواعد الكلية لانه لا توجد قاعدة في اي علم من العلوم تضم كل شيء بلا استثناء فطبيعة الاشياء انه لكل قاعدة شواذ اذا اردنا مثلا رصد ظاهرة ما فاننا نأخذ باللاحظات التي تتكرر دائما بحيث ان نصف موضوع الدراسة بها - [00:10:58](#)

وتصلح بدقة لوصف الموضوع تخيل مثلا اننا اجرينا دراسة عن المناخ في مدينة القاهرة علما انها مدينة جافة لا تمطر في الصيف وتمطر في الشتاء عادة ولكنها عندما تمطر فانها لا تثلج - [00:11:21](#)

هذا هو المعتاد في القاهرة ولكن لنقل انه في العشرين سنة الماضية هطل المطر مرة في الصيف وفي احدى مواسم الشتاء ظهرت بعض حبات البرد والثلوج هل يمكن ان نخرج بقاعدة تقول ان القاهرة مدينة مناخها ممطر صيفا ومثلج شتاء لمجرد ان هذا حدث - [00:11:41](#)

مرة او مرتين مقابل مئات المرات التي لم يحدث فيها لا يمكن وصفها بهذا لانه لم يضطرد اي ان هذه الظواهر تعامل معاملة الشذوذ ايضا في الدراسات الاحصائية التي ربما قام بها بعضكم في درجة الماجستير - [00:12:06](#)

اذا اجريت دراسة عن الاعراض التي تظهر في مرض معين يؤخذ متوسط بعدد ظهورها على الناس. وتصاغ منها العوارض عادة تظهر اعراض نادرة على عدد قليل جدا من المرضى. وبقراءات خارج المعتاد - [00:12:28](#)

يتم تسجيلها كحالات نادرة خارج تعريف المرض او كلاحظات جانبية هذا هو الاسلوب العلمي الذي طبقة البصرة. وقد فعلت هذا من اكثر من الف سنة اذا ظهرت كلمة لمرة واحدة في بيت شعر او قالها عدد قليل من العرب فانها لا تصلح لوضع القاعدة النحوية - [00:12:48](#)

وتعتبر شذوذنا عن القاعدة الرئيسية ولهذا فانها تسجل ولكن لا يؤخذ بها في قواعد الكلام وهذا اهم ما اريد ان نخرج به من هذه الحلقة ولو سمح باستخدام كل كلمة قالتها العرب لتتكلم كل من شاء بما شاء. لأن لغة العرب متعدة. وستجد - [00:13:14](#)

مرة نطق الكلام بطريقة مختلفة ولما امكن جمع اللغة في قواعد سليمة منتظمة اما فيما يتعلق بقراءات القرآن الكريم التي نزلت موافقة لبعض لهجات العرب. ولا تنتظم على القواعد التي وضعها البصري - [00:13:39](#)

لا يمكنهم تخطئة القرآن. فماذا فعلوا لم يعترض علماء البصرة على قراءات القرآن الكريم ولكنهم لا يقرؤنها للحديث اليومي فيما عدا ذلك كما سنرى مع تقدم الحلقات النقطة الاخيرة التي تذكر عن النحو في البصرة هي تأثير النحو البصري بالمنطق اليوناني - [00:13:58](#)

تأثرت مدينة البصرة بعقلية المنطق اليوناني لوجود عدد كبير من غير العرب فيها تأثروا بطريقة تفكيرهم لم يؤثر في اللغة نفسها فدراسة النحو هي امر عربي تماما كالشجرة العربية التي نشأت في ارض عربية - [00:14:28](#)

ولكن اثر المنطق هو محاولات التعليل الكثيرة والبحث فلسفيا عن علة او سبب لاي حكم اعرابي هم يحاولون تفسير كل حكم ليبدو انه ينتظم على قاعدة ما حتى لو كان هذا الامر لا يحتاج - [00:14:50](#)

مع ان وظيفة عالم اللغة هي احكام وصف اللغة لا تعليل كل شيء. فبعض الاشياء الاولية في الحياة عموما لا يمكن تفسيرها مثل لماذا الماء سائل؟ ولماذا الهواء بلا رائحة - [00:15:08](#)

كذلك اللغة نطق العرب كلامهم بطريقة محددة والمطلوب هو ان نعرفها ونصفها تماما كي نستطيع التكلم بها. لا ان نبحث عن اسباب تفسر لما اتت به بهذا الشكل مثلا وضعوا قاعدة تقول ان الاعراب هو الاصل في الاسماء - [00:15:25](#)

اي ان الاسماء تقبل الرفع والنصب والجر ولكن بعض الاسماء مبنية فحاولوا البحث عن سبب يفسر بناء هذه الاسماء ومخالفتها للقاعدة ويرهقون انفسهم في ذلك بعض الاسماء المبنية لم تستقيم مع التفسيرات التي وضعوها وبقيت بلا تفسير - [00:15:48](#)

فتكلفو افتراضات سبب تعيقها لكي يجدوا لها مكانا في القاعدة مع ان المهم في كل هذا الموضوع هو ان تعرف ما هي الاسماء المعرفة. فتعربها بشكل صحيح وما هي المبنية فتبنيها - [00:16:11](#)

هذا مجرد مثال واحد ولم يتوقفوا عند ذلك فحسب. بل ارادوا تعليل بعض الامثلة غير العملية. اي انهم اخترعوا كلمات لم يقل بها العرب هو اصلا بغرض التدريب او تماشيا مع قاعدة نظرية - [00:16:27](#)

ووضعوا لهذه الكلمات صيغًا وحاولوا تعليل ذلك وبهذا تعقدت دراسة النحو وخرج النحو احياناً عن وظيفته الأصلية وهي وصف مظاهر اللغة الى الحديث الفلسفي عن اسبابها وسوف يكون لنا وقفة مع اثر المنطقي على النحو العربي فيما بعد - 00:16:47

هذه هي نهاية الحلقة في الحلقات القادمة سوف نتكلم بالتفصيل عن كل عالم كبير في البصرة ثم الكوفة. ثم ساخصص حلقة للمقارنة بين من النحو البصري والنحو الكوفي لهذا لا تنسى ان تشتراك على القناة لتابع كل هذه الحلقات القادمة - 00:17:14

ولا تنسى ان تعلق بما تراه مناسباً على محتوى هذه الحلقة شكرًا لكم. السلام عليكم ورحمة الله وبركاته - 00:17:35